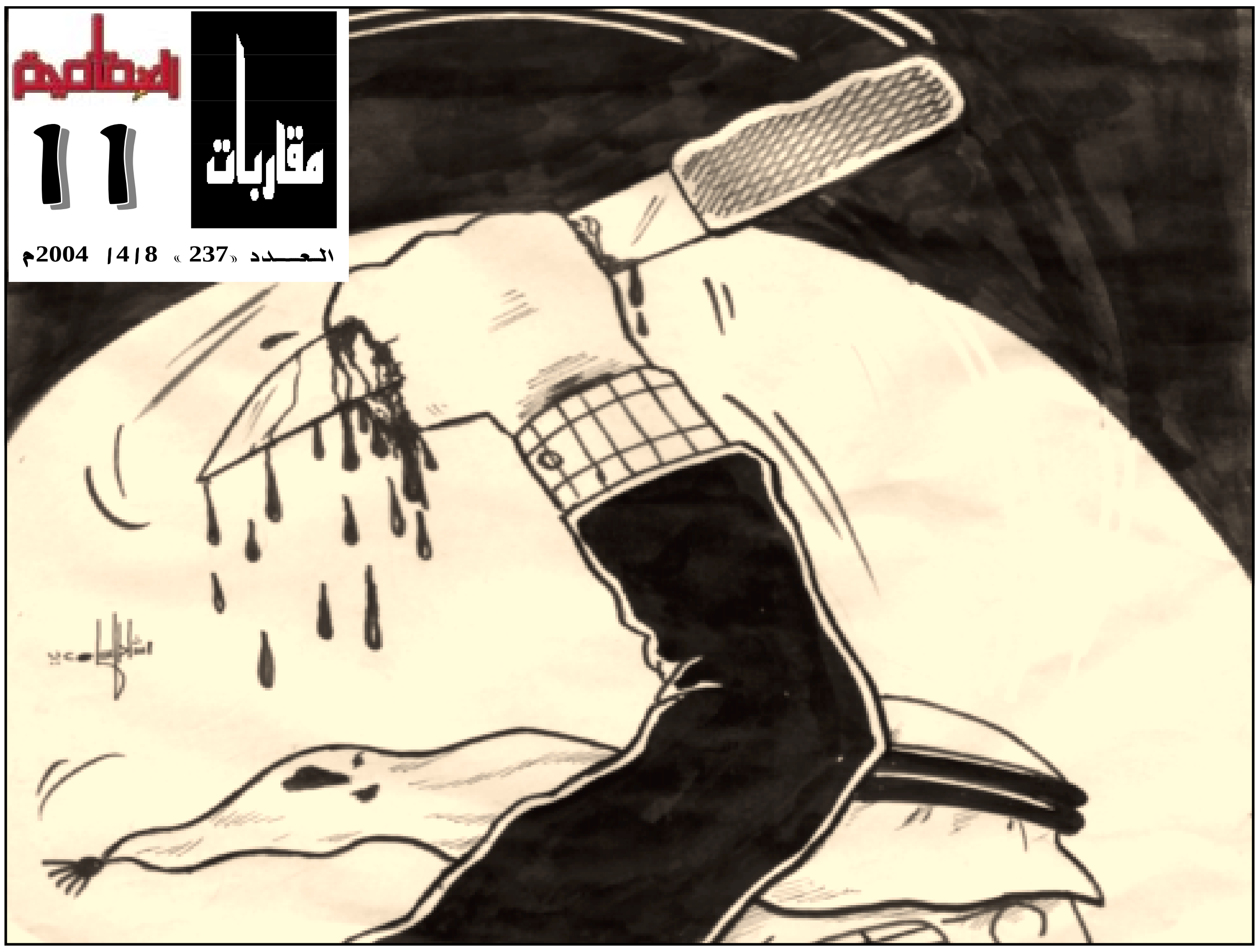

مقاربات

11

العـدد «237» 8/4/2004م

"المحتالون والزعماء والدجالون محتاجون دائماً إلى أن يكون الناس ضآلين ومتألمين ومحاطين بالاعداء الخارجيين وبالمشاكل والتعقيدات الدولية والداخلية،إنهم كالأطباء المحتاجين إلى وجود المرضى.."

عبدالله القصيمي

## باسم كراهيتها يضاجعون ويحكمون ..

# اسرائيل كمان .. وكمان!!

صلاح الدين الدكاك

ظل «شعبان عبدالرحيم» حقيراً ومغموراً حتى اللحظة التي أعلن فيها كراهيته لإسرائيل في أغنيته الظريفة جداً«أنا بكره اسرائيل..»،حينها ـ فقط ـ أصبح، ليس فناناً ذائع الصيت فحسب ،بل وبطلاً قومياً لايشق له غبار.

إنه بصرف النظر عما إذا كان شعبان يكره اسرائيل بالفعل ؟أم يحبها؟!فإن عائدات ضخمة وخيالية حققها من وراء أغنيته تلك،تجعله ولاريب يندم على أنه لم يظهر هذه الكراهية في وقت مبكر من مشواره الفني..إنها الكراهية التي أورثته حب الجماهير والشهرة والمال تماماً كما أورثت غيره من زعماء وقادة وسياسيين ومثقفين ـ السلطة والحكم ومواقع القرار إضافة إلى الشهرة والمال.

لقد كانت كراهية اسرائيل كراهية غير مكلفة في الغالب لكنها مربحة دائماً..فعلى إيقاع هذه المعزوفة العتيقة قامت العروش والممالك والجمهوريات وجيشت الجيوش ونصبت المشانق ودشنت المعتقلات وبرامج وزارات الثقافة والإعلام وعقدت صفقات لاستيراد الهراوات والخوازيق وكراسي التعذيب بالكهرباء بالآلاف وجرى سباق تسلح مهووس كل ذلك حدث بدعوى الكراهية لاسرائيل وبدعوى خطرها الداهم...خمسة عقود والمواطن العربي يدفع الضريبة من عرقه ومن صحته ومن أحلامه ويتنازل عن احتياجاته الأساسية ليوفر ثمن الطلقة التي سيدفنها النظام العربي في جمجمة اسرائيل ذات يوم خمسة عقود وطلقات النظام العربي تأخذ مساراً منحنياً وتعود لتستقر في جمجمة المواطن العربي وتصيبه في حريته وفي قوته وفي أمنه.

خمسة عقود ولم يكتشف هذا المواطن ـ بعد ـ أن الرصاصة التي يدفع فيها ثمن الكسرة والدواء لاتقتل الاعداء.

وخلال ذلك ،خلال كل تلك العقود ظلت اسرائيل شماعة مثلى يعلق عليها العرب ـ أنظمة وشعوباً ـ خيبتهم وفشلهم ونكستهم في كل صغيرة وكبيرة وعلى كل المستويات في الداخل والخارج.

فهي المسئولة عن فشلهم في غرف الحكم وفشلهم في غرف النوم، والمسئولة عن عجزهم الاقتصادي وعجزهم الجنسي، عن عقم العقول وعقم الأرحام وعن تأخر الإنجاب وتأخر انعقاد القمة،وفساد الأغذية وفساد الأخلاق.

إنها شيطانهم الأكبر الذي يحمل أوزارهم كاملة ويحيلون عليه كل نفاياتهم ونقائصهم النفسية هرباً من تبعات مكاشفة باهظة مع الذات والواقع من حولهم.

هكذا كان ينبغي أن ينظروا إلى اسرائيل وأن يعمقوا هذه النظرة في السلالة العربية،فبعد ذلك تسقط سلطتهم على السرير وسلطتهم على الجغرافيا..ويخسرون تعاطف وتغاضي زوجاتهم ومواطنيهم عن حقيقة عجزهم المزمن والذي ظل ينظر إليه ـ دائماً ـ على أنه حالة«مؤقتة» بفعل عامل خارجي و«شدة وتزول» بزوال اسرائيل..بزوال هذا البعبع الذي يغرق الأسواق العربية والحياة العربية بالدسائس والمؤامرات و«علكة الشبق» والأحزمة الممغنطة والعبوات المشحونة بالايدز والنهود المكتنزة بالفجور..هذا البعبع الذي لاشغل له سوى تهديد ذكورة العرب وعقيدة العرب وبلاد العرب.

تلك صورة اسرائيل التي ارتعدت فرائصنا لها باكراً ونحن نجلس القرفصاء في «الكتّاب» نستمع إلى أحاديث الشيخ وعصاه وفي المدرسة في حصص الدين والجغرافيا والوطنية ،كبرت الصورة وحملناها معنا إلى القاعات الكبرى في الجامعة ولانزال نرتعد ،ولاتزال اسرائيل ثاني اثنين بالنسبة إلينا وعلى مرمى حجر من دبابات النظام العربي المصطفة كأرانب على حدود الوطن المعطاء ولايزال هذا النظام ملتزماً بسياسة ضبط النفس.

..لايحارب ولايفكر في الحرب ويدعي ويدعونا ـ في الوقت نفسه ـ إلى كراهية اسرائيل!!فالكراهية ينبغي أن تظل ملتهبة ليستمر تشحيم الدبابات وحناجر الخطابة والنشيد العربي..و..لتستمر «كاسيتات» شعبان عبدالرحيم في حالة رواج.

لقد وجد الخطاب العربي ـ على اختلافه ـ ضالته المنشودة في اسرائيل ـ دائماً ـ ومن مبدأ الكراهية نفسه.

إن هذا الخطاب يتفق في مجمله،على مقت هذه الدولة لكنه يعود فيتشظى على نفسه بصورة مضحكة لدى توصيف دوافع الكراهية «المفترضة» تلك ،للإجابة على السؤال:

لماذا الكراهية لإسرائيل؟!

ماحدود هذه الكراهية؟!

هل هي كراهية المحتل للاحتلال؟!أم هي كراهية العربي للأجنبي والمستعمر ـ في ذات الوقت ـ؟ أم أنها كراهية المسلم لليهودي وغير المسلم معاً؟!

هل هذه الكراهية وطنية؟!أم قومية؟ أم عقيدية؟!أم كل ذلك معاً؟!

وبما أنني لست بصدد دراسة جذور واتجاهات الخطاب العربي بالقياس على مواقفه من الاحتلال الاجنبي عموماً والاسرائيلي خصوصاً؟!فإنني أملك ـ فحسب ـ أن أزعم أن هذا الخطاب على تنوعه قد حصل على شرعيته من وجود اسرائيل غير الشرعي!!

لذا فإن المنطق يقضي بأن تكون كراهيته لها كراهية مشوبة بالحب أو حباً مشوباً بالكراهية؟! لا أدري كيف أصف طبيعة هذه العلاقة لكنها تشبه ـ على نحو ما ـ العلاقة بين «شجر السرو ونبات العليق» بين الكرة والمضرب وبين البكتيريا الميتة التي يحقن بها الجسم خشية هجمات محتملة لبكتيريا حيه وقد رحب الجسد العربي وإنما ـ باستسلام الخائف ـ بكل الجراثيم والبكتريا الميتة واستضاف القوارض والسباع والكواسر بدعوى أن «في المنزل فأراً» وظل فريسة لها بينما نجا الفأر.

إنها حرب وجود لاحرب حدود كما وصفها زعيم عربي بالأمس.لذا فإن اسرائيل ينبغي أن تبقى على حدودنا ليبقى وجودنا.

إن زوال دولة اسرائيل لايعني زوال الوجود العربي ـ فحسب ـ بل والوجود بأسره، إنه يعني قيام الساعة هكذا يخبرنا «الإسلامويون»

ولم يكن الاحتلال الاسرائيلي لأرض فلسطين مفاجئاً لهؤلاء«فالبشارة» أخبرت عنه قبل قرون من حصوله،وحصوله لايمثل كارثة ـ في اعتقادهم ـ بقدر ما يعزز من مصداقية هذه البشارة الثاقبة والسبق الرباني..

كما يعزز من وجود أصحاب هذا الخطاب «النبوئى» ومن أحقيتهم باستلام دفة القيادة باعتبارهم الأنفذ بصيرة بين فئات قاصرة ولاتتعدى نظراتها موطئ أقدامها.

ويستبشر أصحاب هذا الخطاب كثيراً كلما نقض الاسرائيليون «اليهود» اتفاقاً أو موثقاً بينهم وبين أحد من البشر لاسيما الفلسطينيين منهم فالكارثة ألا يفعل «اليهود» ذلك..الكارثة ألا يسفكوا الدماء وألا يعيثوا فساداً في الضفة والقطاع وألا يهلكوا الحرث والنسل فذلك يهدد مصداقية ما أخبر الله عنهم في محكم كتابه..وفي الآونة الأخيرة عندما شرع الاسرائيلون في بناء جدار الفصل العنصري كان الرد جاهزاً وحاسماً «لايقاتلونكم إلا من وراء جدر»

إن اسرائيل لاتقوم ـ إذن بأكثر مما يريده أصحاب هذا الخطاب منها وعندما تقوم باحتلال كامل الأراضي العربية «بين الفرات والنيل» كما تقضي النبوءة فلن يكون مستغرباً أن يتنطط هؤلاء كالصبية لفرط الفرح ويخطبوا في الناس بأعين تفيض بالدمع مرتلين«اليوم أكملت لكم دينكم..» وتتسع فكرة الكراهية في هذا الخطاب «كراهية المحب والأبله» لتشمل اليهود على اختلاف أجناسهم وأينما كانوا الصهاينة منهم وغير الصهاينة،المقيمين وغيرالمقيمين في اسرائيل.

وهم يتحرقون شوقاً إلى اليوم الذي يجتمع فيه كافة اليهود من كافة أنحاء العالم على أرض فلسطين لتقوم معركة فاصلة تكون نهاية العالم.

إن هذا هو غاية ماترغب فيه اسرائيل وتعجز عن تحقيقه حتى اللحظة أن يتجمع يهود العالم عن بكرة أبيهم تحت مظلة الدولة العبرية على أرض فلسطين.

إنني أحاول فقط ـ فض الاشتباك بين خطابين يزعمان التضاد والكراهية فلا أعثر لا على تضاد ولاعلى كراهية،ويصدمني الشعور بأنهما يخرجان من مشكاة واحدة.

لقد كبرت نواة اسرائيل بترحيل مجاميع كبيرة من يهود الشتات ـ في البدء ـ وحصل الترحيل بتواطؤ الأنظمة العربية نفسها سراً وعلانية ورغم ذلك بقيت هناك مجاميع كبيرة رفضت الرحيل ولم تعط تأييدها لمبدأ قيام دولة عبرية وظلت هذه المجاميع ـ حتى اليوم ـ «نصف الكوتشينة» الغائب الذي تجهد اسرائيل في الحصول عليه ليكتمل بناء الدولة.

إن نبوءة عربية رعناء تبشر بحصول ذلك على المدى القريب،حينها نلتقي على مائدة «هرمجدّون»..وحتى ذلك الحين ينبغي أن نتفنن في إعداد المزيد من أطباق الكراهية..والمزيد من أطباق الخوف.